المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الاول من المجلد الخامس والسبعين

١ يوليو سنة ١٩٢٩ — ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

الاعصاب وفلسفة الجمال

انظر الى ازياء النساء من الطبقة العليا والوسطى التي تتغير الآن كل سنة او كل فصل في تفصيل الثياب وعقص الشعور وشكل البرانيط ونوع الاحذية والجوارب. فكلما ظهر زي جديد بعيدٌ عن المألوف كالتنورة الواسع من اسفلها والاكمام المنفوخة فوق الاكتاف والقبعات العالية الى الاذنين. والتنانير الضيقة التي تكاد تمنع لابستها من المشي. والتخشة التي عقبت الحصور الضيقة. والثياب القصيرة التي عقبت الثياب الطويلة الاذيال. واشكال البرانيط التي بعد ان كانت حوافيها منحنية الانحناء الهندسي الجميل يغطيها ريش النعام معما فيه من العلاقة بالظرف والجمال صارت قفصاً من الحوص تكبُّ على الرأس حتى تغطيهُ وتغطي اكثر الوجه. فان كل زي من هذه الازياء كان الاكثرون يرونهُ قبيحاً عند اول ظهوره ثم تألفهُ العين رويداً رويداً ثم تستحسنهُ ولاسيما اذا رأت الحسان يقبلنهُ فتعلق منظرهُ بمنظرهن فتستنبط لهُ حسنات تشفع بهِ. او اعتبر ما نشعر بهِ حينما نأكل طعاماً مخالفاً في طعمهِ كل المخالفة لما اعتدنا اكلهُ. فالسوريون الذين نزلوا هذا القطر استبشعوا طعم الملوخية حينما اكلوها اول مرة وكرهوا طعم الجرجير وحسبوهُ من انتن البقول. ثم لما رأوا كل احد يستطيب طعمها وكرروا الاكل منها الفوها وصاروا يستطيبونها كاطيب المآكل. والانكليز والاميركيون الذين اتوا الشرق وذاقوا الزيتون اول مرة تأففوا

كارهين ثم الفوهُ رويداً رويداً وصاروا يستطيبونهُ. وكذا مدخن التبغ فانهُ يكرههُ في اول الامر ويشمر بالدوار والغثيان ثم يألفهُ حتى يصير التدخين من لوازم معيشتهِ. وقارىء اشعار النابغة وابي تمام والمتنبي وامثالهم من ارباب القريض قد لا يفهم لها معنى في اول الامر فيستثقلها وينبو عنها ثم اذا كرر قراءتها وتفهَّم معانيها بمساعدة الشروح والقواميس وسمع الناس يمدحونها ويشيرون الى ما فيها من ضروب البلاغة الفها وصار يرى فيها ما يراهُ غيرهُ فيستحسن ما كان يستهجنهُ ويرتاح الى تلاوتهِ ويطرب. ومن هذا القبيل اختلاف الامم في تأثير الانغام. سمعنا بالامس بربريًّا يقرع طبالتهُ قرعتين متكررتين لا ثالثة لهما وهو يهزُّ رأسهُ طرباً واخوانهُ البرابرة يطربون لهذا القرع المتوالي ونحن كادت آذاننا تتمزق. كنا في صبانا نتردد على عائلة اميركية اتت حديثاً الى سورية وكان جلوسنا في غرفة لها كوة تجاهها مأذنة يؤذن فيها رجل مشهور برخامة صوتهِ وحسن تأذينهِ فكان كلما ابتدأ بآذانهِ الظهر او العصر تنهض صاحبة البيت وتقفل الكوة قائلة ان صوتهُ يخدش اذنيها مع انها موسيقية وكنا نحن نخرج الى شرفة امام الغرفة لنسمع الآذان لشدة ما نسرُّ بهِ

***

والامثلة التي من هذا القبيل لا تحصى ممَّا يدلُّ على ان سبب الاستحسان والاستهجان ليس شيئاً ثابتاً قائماً في الشيء المستحسن او المستهجن بل هو شيء متغير قائم في نفس المستحسِن او المستهجِن. ونحن نرى ان هذا الشيء قائم في الدقائق العصبية التي تتأثر بالمؤثرات الخارجية من منظور ومسموع ومشموم وملموس ومذوق وايضاحاً لذلك نقول

اذا قامت امرأة تمشط شعرها بعد ان خرجت من الحمام وشعرها منفوش معركس مشتبك بعضهُ ببعض فانها تتألم في اول الامر لان المشط يقتلع بعض الشعر ويجذب بعضهُ جذباً عنيفاً مؤلماً. واذا استمرَّت حتى سُرِّح شعرها كلهُ زال الالم وصارت تشعر بشيء من اللذة. ويظهر من بعض المباحث الفسيولوجية ان دقائق الدماغ التي تتأثر بالمؤثرات الخارجية وتنقلها الى مراكز الشعور تقاوم هذا التأثير اولاً كما يقاوم الجسم الساكن كل حركة تحاول تحريكهُ. وهذه المقاومة تؤلم او لا تسرُّ لانها تزيل بعض القوة وازالتها من قبيل الشعور بالالم ولكن المؤثر الذي يؤثر فيها يحركها في جهة المراكز العصبية التي تشعر بذلك التأثير. فاذا تكرَّر حدوثهُ قلَّت مقاومة الدقائق العصبية لهُ رويداً رويداً لانها تجدها قد صارت منتظمة مستعدة لقبولهِ كما ينتظم الشعر المسرح امام المشط وهناك الارتياح والانبساط